وللحقيقة ، فقد نجحت السلطات الاسرائيلية طوال الاعوام الطويلة الماضية بطبخ مجالس بلدية متعاقبة ومتوافقة مع المذاق الاسرائيلي . وبالكاد كانت العناصر الوطنية ، في الناصرة على وجه الخصوص ، تنجح بايصال عدد من ممثليها الى عضوية تلك المجالس ، لتشكل في أحسن الاحوال أقلية قوية ومتماسكة .

الا أن النتائج التي أسفرت عنها عملية الانتخابات الاخيرة ، جاءت هذه المرة مختلفة الى الحد الذي يمكن وصفه بانقلاب في الولاءات السياسية للغالبية الكبرى لدى أكبر تجمع سكاني عربي في اسرائيل . والاهمية المضاعفة لتلك النتيجة هي حدوثها في الناصرة ، عاصمة النصف مليون عربي في اسرائيل ، ومركزهم الحضاري والسياسي . وبالتالي فانه يمكن القول أن تجربة الناصرة هذه سوف تكون قدوة لغيرها من التجمعات العربية في اسرائيل ، وان تعميمها مسألة وقت ليس الا .

واذا كان المحتوى السياسي لمعركة الانتخابات البلدية ماثلا بوضوح لدى سكان الناصرة من جهة والسلطات الاسرائيلية من جهة ثانية ، فان التحالفات الانتخابية قد جاءت هي الاخرى لتؤكد كافة المعاني التي سبق استخلاصها ، معلنة عبر هويات رموزها الانتخابية عن الهوية السياسية لانتخابات رئاسة عضوية المجلس البلدي في الناصرة . اذ انها المرة الاولى في تاريخ الانتخابات البلدية لمدينة الناصرة ، التي يأتلف فيها الشيوعيون ذوي المواقف الصلبة في الدفاع عن الارض والحقوق الوطنية الثابتة للشعب الفلسطيني ، مع رابطة الاكاديميين العرب التي تضم خريجي الجامعات والمعاهد العليا الاسرائيلية ، اضافة الى التجار ورجال الدين . وبالرغم من أن القواسم المشتركة بين هؤلاء جميعا كثيرة ، فلا نشك لحظة في ان التقائهم حول التنديد بالسياسة العدمية للحكومة الاسرائيلية تجاه الشعب الفلسطيني وحقوقه الوطنية ، بما فيها حقه باقامة دولة ما ، كانت احدى أهم القضايا التي وسعت اطار هذا الائتلاف الوطني وصلبت من عوده .

وهكذا ، فان استطرادنا المطول في التثبت من الهوية السياسية لمعركة الانتخابات هذه ، والتأكيد على سياسة التحالفات الانتخابية ، ليست أكثر من محاولة للتعرف على الحبل السري الذي يربط بين نضال المواطنين العرب في اسرائيل والنضال الفلسطيني بأسره ، وسعت الشقة أو ضاقت بين سائر الاهداف والشعارات المعلنة . الامر الذي يرتب التزامات متبادلة ، ليس بين فرقاء ، وانما بين جبهات متعددة للشعب الفلسطيني ، يقع عبء الالتزام الرئيسي فيها والمسؤولية الكبرى منها على عاتق جبهة الثورة الفلسطينية وتعبيرها السياسي المحدد بمنظمة التحرير الفلسطينية .

الاستجابة لبرنامج الثورة وطرحها المرحل

ما اجمعت عليه ردود الفعل وتعقيبات الرسميين وكتاب المقالات الاسرائيلية ، هو ان انتصار جبهة الناصرة الديمقراطية في معركة انتخابات البلدية ، انتصار لمنظمة التحرير الفلسطينية ، وان الاغلبية الكبيرة من أصوات الناخبين التي حازت عليها قائمة الجبهة ، ما كانت لتتحقق بهذا القدر لولا التأييد الدولي المتعاظم الذي حظيت به المنظمة خلال العامين الاخيرين .

ونحن اذ نقر بصحة التحليل الاسرائيلي هذا ، طارحين جانبا التحريض الذي تضمنته هذه التعقيبات ضد التركيبة الحالية لمجلس بلدية الناصرة ، فاننا نستطيع ان نقر أيضا وبثقة كبيرة ان التعاطي الواعي والمتطور لمنظمة التحرير الفلسطينية مع الحقائق الراهنة للواقع الفلسطيني ، قد أسهم بدوره في تحقيق هذا الانتصار على هذه الجبهة الفلسطينية المتقدمة جدا — الى حد التداخل — مع الكيان الاسرائيلي . فليس من قبيل المصادفة مثلا أن تشن اذاعة صوت الثورة الفلسطينية ، وقبل أيام من تاريخ انتخابات الناصرة ، هجوما شديدا ضد كافة العناصر المرتبطة بالاحزاب الصهيونية في الناصرة ، دون ان تعلن تأييدها لأي من العناصر الوطنية المرشحة . وهذا الموقف في حد ذاته ، قياسا الى الاعوام السابقة ، يعتبر مؤشرا ذا دلائل مهمة على التطور الطبيعي في عقل الثورة الفلسطينية ، هذا التطور المرتكز قاعدته على البرنامج المرحلي للثورة الفلسطينية .

وفي بحثنا عن الجذر الاساسي لانتصار الناصرة الفلسطيني ، باعتبار الناصرة ترمز الى جبهة متقدمة لمنظمة التحرير الفلسطينية ، نجد ان ايجابيات حرب تشرين الوطنية هي الارضية التي نبتت عليها بقوة مختلف الانتصارات التي حققتها